

## رسالة ابن العميد إلى ابن بلكا: دراسة تداولية حجاجية

ناصر حسن يعقوب\*

Naser-yacoub@bau.edu.jo

حنان أحمد الحتاملة\*\*

hanan\_hat@bau.edu.jo

تاريخ قبول البحث: 2024/5/2

تاريخ تقديم البحث: 2024/2/14

---

### ملخص

تقوم هذه الدراسة على مقارنة رسالة ابن العميد إلى ابن بلكا "مقاربة تداولية حجاجية" بوصفها خطاباً حاول مُبدِعُهُ (المُحاجِج) التأثير بمتلقيه (السامع/القارئ)؛ لتغيير موقفه ورأيه وسلوكه تجاه موضوع ما في وقتٍ كانا فيه (الإيتوس/ابن العميد) و(الباتوس/ابن بلكا) على طرفي نقيض. اعتمدت الدراسة المقاربة التداولية الحجاجية لكون النظرية الحجاجية من بين أهم نظريات التداولية التي تنطلق من البنى اللسانية إلى حيثيات عديدة. وتحلّل الدراسة الخطاب (الرسالة) بتناول تقنيات المُحاجِج (الإيتوس) وآلياته التي تهدف إلى إذعان المُخاطَب (الباتوس) للأقوال المطروحة، وتسليمه بها إلى درجة تبعثه على الانقياد للأمر وإنجاز المطلوب. وقد كشفت الدراسة أنّ رسالة ابن العميد إلى ابن بلكا شكّلت خطاباً حجاجياً متفوّقاً، ارتقى من غرض الإقناع إلى التأثير فالإقناع الذي جعل (الباتوس/المُخاطَب/ابن بلكا) يُدّعن لما طرحه (الإيتوس/المُحاجِج/ابن العميد) ويثق به إلى الدرجة التي جعلته يُسلّم بالأمر وينصاع له فيُنجز المطلوب. الكلمات الدالة: خطاب، بلاغة، مقارنة، حجاجية، تداولية.

---

\* أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن.

\*\* أستاذ مشارك، قسم العلوم الأساسية الإنسانية، كلية الحصن الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن.

## Ibn al-Ameed's Letter to Ibn Balka: A Deliberative Argumentative Study

**Naser Hasan Yacoub\***

Naser-yacoub@bau.edu.jo

**Hanan Ahmad Al Hatamleh\*\***

hanan\_hat@bau.edu.jo

**Submission Date: 14/2/2024**

**Acceptance Date: 2/5/2024**

### Abstract

This study intended to approach Ibn al-Ameed's Letter using the deliberative argumentative approach to that of Ibn Balka, considering it as a speech whose creator attempted to influence its recipient. This is conducted to change his position, opinion, and behavior towards a subject at a time when (Aetus/Ibn al-Amid) and (Al-Batus/Ibn Balka) were on opposite sides.

The study adopted the pragmatic-argumentative approach for being a comprehensive framework and one of the most important theories of pragmatics that proceed from linguistic structures to reasoning. The study analyzes discourse (the message) by examining the techniques and mechanisms of the arguer (Etos) that aim to make the addressee (Batos) submit to the statements proposed and accept them to a degree that encourages him or her to submit to the matter and accomplish what is required.

The study revealed that Ibn al-Ameed's Letter constituted a superior argumentative speech to Ibn Balka that rose from the purpose of understanding to the level of influence persuading (Al-Batus/the addressee/Ibn Balka) submit to what was put forward by (Al-Itos/Al-Muhajaj/Ibn al-Ameed) and trust him to the level that made him submit to the matter and comply with it to achieve what was intended.

**Keywords:** speech, rhetoric, approach, argumentation, pragmatics.

---

\* Professor, Department of Arabic Language, Irbid University College, Al-Balqa Applied University, Jordan.

\*\* Associate Professor, Department of Basic Human Sciences, Al Huson University College, Al-Balqa Applied University, Jordan.

لقد شكّل ظهور كتاب "مصنّف في الحجاج" لمؤلفيه بيرلمان وتيتيكا (Perelman & Titica) فتحاً جديداً في عالم الخطابة الجديدة. وحينما صنفا الحجاج إلى ضربين، كان الضرب الثاني هو الأوسع؛ لأنه يهتم بدراسة التقنيات البيانية التي تسمح بإذعان المتلقي، وغرضه دغدغة عواطف السامعين وإثارتهم، ومن ثم انغرست نظرية الحجاج في أديم لساني تداولي بحث<sup>(1)</sup>.

وبما أنّ بيرلمان (Perelman) يُعرّف الحجاج باعتباره مجموعة أساليب وتقنيات في الخطاب تكون شبه منطقية أو شكلية أو رياضية، فإنّ ديكرو وأنسكومبر (Ducrot & Anscombre) يريان أنّ الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججاً تدعم وتثبت بعضها الآخر<sup>(2)</sup>. فيكون على المتلقي استنتاج الدلالات لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية بل اعتماداً على بنيته اللغوية فحسب.

وبذلك نستطيع القول إنّ التداولية تدرس مجموعة الأساليب والتقنيات اللغوية في الخطاب ضمن بعدها الحجاجي. كما أنها لا تحصر نفسها في البنية اللغوية فحسب، بل تنفتح على المرجع (الإحالة) الخارج، لإجلاء أبعاد دلالية أخرى. ولعلّ البلاغة العربية القديمة قد لامست هذا البعد التداولي مثل ما جاء في صحيفة بشر بن المعتمر في تعليم الخطابة التي أوردها الجاحظ في كتابة البيان والتبيين، وفيها "وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال،..."<sup>(3)</sup>. إنّ ما ذكره الجاحظ يتمثل في تأسيس اللغة على المنفعة من خلال مراعاة المقام ودواعي الاستشهاد وموضوعه، وتخيّر الألفاظ، وهذا بدوره يمثّل إبرازاً للبعد التداولي للخطاب. كما أنّه يتفق مع مبادئ التخاطب والمحادثة التي جمعها الفيلسوف الأمريكي هيربرت (Herbert) في قاعدة التعاون، وتتفرع قاعدة التعاون إلى مجموعة من المبادئ منها:

1. مبدأ الكم: تكلم على قدر الحاجة، وتجنّب الاستقصاء المفصّل والإطناب والاستطراد.

- 
- (1) بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية، بيت الحكمة العلمية؛ الجزائر، 2009، ص 107.  
 (2) أبا علل، مولود، اللسانيات التداولية ونظام الخطابة، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي ليباس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017، ص 51.  
 (3) الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت 255هـ/869م)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت.)، ج 1، ص 136.

2. مبدأ الكيف: لا تقل ما تعتقد كذبه، ولا تقل ما يعوزك فيه دليل (مبدأ الصدق).

3. الأسلوب: تجنب إيهام التعبير، وتجنب اللبس، وأوجز، وليكن كلامك مرتباً.

4. مبدأ المناسبة: مراعاة مقتضى الحال<sup>(1)</sup>.

حين ينظر الاتجاه التداولي إلى النص نظرة حجاجية، فإنّه يرى أنّه ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف إلى تغيير وضع المتلقي عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية، وتغيير نظام معتقداته أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية أفعال ولا تفعل<sup>(2)</sup>.

ظهرت التداوليات التحليلية في سنوات الخمسين من القرن العشرين مع أوستن (J.L.Austin) في كتابه "نظرية أفعال الكلام" سنة 1962، وسورل (J.R.Searle) في كتابه "أفعال اللغة" سنة 1969. وقد ركزت في تحليلها للخطاب على ثلاثة عناصر رئيسية: (فعل القول، الفعل المتضمن في القول، الفعل الناتج عن القول)<sup>(3)</sup>. فالدراسة بدورها تستفيد من بعض المقولات وتطبيقاتها، ولكنها لا تلتزم بمقاربة تداولية صرفه وفق منهجها، وإنما تعتمد إلى مقاربة تداولية حجاجية عبر تحليل النص (الرسالة) تحليلاً تداولياً بدراسة تقنيات الخطاب المتعددة (اللوغوس) وأساليبه الحجاجية. كما تتناول المرتكز الأول في الخطاب وهو الأيتوس (المحاجج أو المتكلم)، إضافة إلى تناولها للمرتكز الثالث للخطاب وهو الباتوس (المتلقي أو المخاطب).

لم يتم الوقوع على دراسة مشابهة للدراسة الحالية لرسالة ابن العميد لابن بلكا باستثناء دراسة جعفر لعزيز الذي وجد أنّ "القراءة البلاغية العامة" هي المدخل المناسب لدراستها، وذلك بمقاربتها حجاجياً في جانبها الأسلوبية<sup>(4)</sup>. وتتماز الدراسة الحالية بسبرها الرسالة تداولياً اهتماماً بمن يتكلم وإلى من يتكلم، وما المعنى المحمول، وبأي الألفاظ والأساليب التي تواءمت مع المعنى فاتسقت، وتأخت مع الهدف فانتلفت. فدرست الفعل الكلامي بوصفه لبّ الدراسة التداولية، والحجاج بوصفه من أهم الاستراتيجيات التداولية التي تُسَعِفُ الْمُتَكَلِّمَ/المُحَاجِّجَ ليحقق هدفاً منشوداً وغرضاً مقصوداً عبر البنى اللغوية، وما الكيفية التي سلكها

(1) حمداوي، جميل، *التداوليات وتحليل الخطاب*، في Ketabpedia.com، ص 15.

(2) حمداوي، جميل، *نظريات الحجاج*، في Bilarabiya.net/19660.html، ص 52.

(3) حمداوي، *نظريات الحجاج*، ص 52.

(4) ينظر: لعزيز، جعفر، "تحليل الرسالة السياسية من ابن العميد إلى ابن بلكا: مقاربة بلاغية حجاجية"، *أوراق نما*،

مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ص2، في <https://nama-center.com>.

ابن العميد لفهم الفعل الكلامي وإنتاجه في سياقٍ تفاعليٍّ أفضى إلى سياقٍ اقتضائيٍّ وقف أمامه المُخاطب وقد أُسْقِطَ في يده، فطأطأ مُعْتَرِفاً، وعاد مُعْتَذِراً، إن رسالةً في بضع فقرات يبدؤها ابن العميد مبالغاً في هجومه، بغير تحيةٍ أو سلام، تتطرق بلسان حال ابن بلكا فيُعْرِيه أمام نفسه مضطرباً حائراً متردداً بين حالٍ مضى وحالٍ حلَّ، انعكس على ابن العميد نفسه فصاغه كتاباً رد ابن بلكا طائعاً مطاوعاً، وخاضعاً معترفاً، ومقرراً منقاداً، بعد أن كان عاصياً متمرداً، وثائراً معارضاً، ومخالفاً مبايناً.

### مفهوم المُحاجِج (الإيتوس) / حجاج السلطة وسلطة الحجاج

الإيتوس يعني المحاجج أو المتكلم أو المتلفظ أو المرسل، وهو الذات المحورية في إنتاج الخطاب فهو الصانع له والموجه ومحرك عملية التخاطب<sup>(1)</sup>، وترتبط به مجموعة الفضائل الأخلاقية والطباع الخاصة، كما يمكن أن تقترن به الكفاية الخطابية<sup>(2)</sup>. فحينما يتحدث أرسطو عن أخلاق القائل، وهو ما يمكن أن نسميه بحجة الإيتوس (Ethos)، فإنه يذكر " خاصيته الأخلاقية باعتبارها وسيلة إقناعيه، إذا ما استطاع خطابه الإيحاء بالثقة إلى مخاطبيه، وبما أن الإنسان اعتاد على الوثوق بالآخر بخصوص القضايا الإشكالية والدقيقة، فإن هذه الثقة يلزم أن تكون وليدة الخطاب ذاته، وليس متأتية من أحكام القيمة المسندة إليه"<sup>(3)</sup>.

إن الإدراك الأرسطي لبلاغة قائمة على قواعد منظمة وموجهة لإيقاع التأثير، تجعل تنظيره للإيتوس مستخلصاً من بنية الخطاب الداخلية وليس من خارجها، وبمعنى آخر استشعار المتلقي بالثقة ينبغي أن يحدث عن طريق ما يقوله المتكلم، لا عن طريق ما يظنه الناس عن خلقه قبل أن يتكلم<sup>(4)</sup>.

والبلاغة العربية القديمة تسير في فلك التصور السابق، ففي صدد الكلام على صناعة الكتابة جاء في البيان والتبيين عن "الصحيفة الهندية"، "أن أول البلاغة، اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، متحيز الألفاظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوق،

(1) الحنوش، أحمد، الحجاج في أدب الوفادات عند العرب في العصر الأموي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، 2021، ص 70.

(2) الدهري، أمينة، الحجاج وبناء الخطاب، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2011، ص 92.

(3) الدهري، الحجاج وبناء الخطاب، ص 93.

(4) العمري، محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ط 2، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، 2002، ص 25.

ويكون في قواه التصرف في كل طبقة<sup>(1)</sup>. وهذا فيه مجموعة من الخصائص الذاتية (رابط الجأش، ساكن الجوارح) بما هي ضبط للانفعالات النفسية، لا تخرج به عن طور الاعتدال، ولا يحتد به عن نهج التصون في الكلام.

لقد ركز أرسطو والبلاغة العربية القديمة على صفات الخطيب فيما يخص بنية الخطاب الداخلية. إلا أننا نميل إلى بعض كتّاب البلاغة، مثل بورك (Burk) الذي ألحّ فيها على شخصية الخطيب، إذ ركز على قيمه الأخلاقية وعدّها عاملاً مساعداً على إذعان الجمهور لحججه<sup>(2)</sup>.

ولا شك بأن مجموعة القيم الأخلاقية التي تمتاز بها الذات المتكلمة قبل أن تتكلم تشكّل مبعث ثقة للجمهور، وتصبح عاملاً مساعداً على استئثار المتلقي بالثقة المنصهرة في الخطاب ذاته.

يمتاز ابن العميد -صاحب الرسالة- بمجموعة من القيم الأخلاقية، ترتبط بشخصه، فكان كريماً ممدوحاً، وكان من محاسن الدنيا، حسن خلق ولين عشرة وشجاعة تامة، وبه تخرج عضد الدولة البويهى، ومنه تعلم سياسة الملك ومحبة العلم والعلماء<sup>(3)</sup>.

وهذه القيم الأخلاقية التي امتاز بها ابن العميد الذي عاش في القرن الرابع الهجري من العصر العباسي، كانت في فترة شهدت اضطراباً سياسياً، تمثل بانقسام الدولة إلى إمارات مصغرة، وما رافق هذه المرحلة من مؤامرات ودسائس وخبث وغير ذلك. ولذلك فإن هذه القيم الأخلاقية للذات المتكلمة (ابن العميد) تعدّ رافداً مساعداً لبث الثقة في نفس المتلقي للرسالة (ابن بلكا).

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 92.

(2) ينظر: صولة، عبد الله، في نظرية الحجاج، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، 2011، ص 77.

(3) ينظر: الزركلي، خير الدين بن علي بن محمود (ت 1396هـ/ 1976م)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط17، 2007، ج6، ص 98. وابن العميد (360هـ / 970م) - كما عرّف به الزركلي في الصفحة ذاتها - هو أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد بن محمد: وزير، من أئمة الكتاب. كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم، لقب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسله. قال الثعالبي: بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد. ولي الوزارة لركن الدولة البويهى. وكان حسن السياسة خبيراً بتدبير الملك، قصده جماعة من الشعراء فأجازهم، ومدحه المتتبي فوهبه ثلاثة آلاف دينار. له مجموع رسائل في مجلد ضخّم، وشعر رقيق. قال ابن الأثير: كان أبو الفضل من محاسن الدنيا، اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من حسن التدبير وسياسة الملك والكتابة التي أتى فيها بكل بديع، مع حسن خلق ولين عشرة وشجاعة تامة ومعرفة بأمور الحرب والمحاصرات، وبه تخرج عضد الدولة البويهى ومنه تعلم سياسة الملك ومحبة العلم والعلماء، وكانت وزارته أربعاً وعشرين سنة، وعاش نيفاً وستين، ومات بهمدان.

ويرتبط بالإيتوس (المتكلم) حجج عدة، لكننا سنتناول هنا ما يسمى الحجة السلطة، إذ "تستخدم حجة السلطة حظوة الشخص في دعم دعوى ما"<sup>(1)</sup>، ويقصد بها نفوذ المتكلم وسطوته، وتختلف السلطة في حجة السلطة وتتعدد تعدداً كثيراً (الإجماع، الرأي العام، الدين، العلماء، السياسة، .....)<sup>(2)</sup>.

وتتجلى حجة السلطة عند ابن العميد ببعدين: البعد الأول: سلطة الكتابة، فهو الأستاذ الرئيس، يُدعى الجاحظ الأخير، يضرب به المثل في البلاغة، وأحد العصر في الكتابة، وظل يردد الثعالبى: بدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد. أما البعد الثاني فهي سلطة السياسة (نفوذه السياسي)، فهو عماد مُلك آل بويه، وصدر وزرائهم، ورئيس الديوانية، ووزير ركن الدولة البويهى<sup>(3)</sup>.

وإذا كان لحضور سلطة المتكلم أثرٌ بارزٌ في نجاح العملية الحجاجية، كما يرى بيرلمان (Perelman) " فإننا سنُجَلِّي انصهار السلطة المزدوجة (الكتابة، والسياسة) في رسالة ابن العميد لابن بلكا. ونقصد بذلك تجليات سلطة ابن العميد الكتابية في رسالته، أي مهاراته الكتابية والتقنيات التي استخدمها وبراعته في ذلك، إضافة إلى سلطته السياسية (نفوذه وسطوته)، وكيف وازن بينهما؟.

يتمثل الإنجاز الحجاجي بالنسبة إلى الفاعل الذي يريد أن يحاجج في استعمال أساليب ينبغي - مع اعتبار لشكل الانتظام هذا- أن تخدم رهان التواصل الذي هو رهانه حسب الوظيفة والطريقة التي ينظر بها إلى الطرف المحاور أو المرسل إليه<sup>(4)</sup>.

يستخدم ابن العميد تقنيات حجاجية يواجه بها المُخاطَب لإقناعه، منطلقاً من المقدمة التي تعدّ نقطة الانطلاق، وأول ما يقرأه المُخاطَب، يقول في بداية الرسالة:

"وكتابي، وأنا مُتَرَجِّح بين طمع فيك ويأس منك، وإقبال عليك، وإعراض عنك، فإنك تدل بسابق حرمة، وتمت بسالف خدمة، أيسرها يوجب رعاية ويقضي محافظة وعناية، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة، وتتبعهما بأنف خلاف ومعصية، وأدنى ذلك يحبط أعمال ويمحق كل ما يرمى لك. لا جرم أني وقفت بين ميل إليك، وميل عنك، أقدم رجلاً لصدك، وأؤخر أخرى عن قصدك، وأبسط يداً لاصطلامك

(1) مشبال، محمد، في بلاغة الحجاج. دار كنوز المعرفة، المغرب، 2016، ص 133.

(2) ينظر: صولة، في نظرية الحجاج، ص 52- 53.

(3) ينظر: الثعالبى، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت 429هـ/1037م)، بتيمة الدهر في محاسن

أهل العصر، شرح وتحقيق، مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت. 1983، ج3، ص 183.

(4) ينظر: شارودو، باتريك، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ترجمة، أحمد الودرني، www.oaebbooks.com، ص 75.

واجتياحك وأثني ثانية لاستبقائك واستصلاحك، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ضناً بالنعمة عندك، ومنافسة في الصنعة لديك، وتأميلاً لفيأتك وانصرافك، ورجاء لمراجعتك وانعطافك<sup>(1)</sup>.

يتخذ ابن العميد الحوار دون العنف مع ابن بلكا رغم الموقف الذي صدر منه في خروجه عن طاعة الأمير ركن الدولة<sup>(2)</sup>. فهو بداية يؤكد قيمة ابن بلكا وعدم إلغائه عبر ضمائر الخطاب المتكررة (فيك، منك، عليك، عنك، ...) مما يؤكد حضور ابن بلكا رغم القرار الذي اتخذه.

وإذا كان مؤلفا كتاب "مصنّف في الحجاج" قد وضع الموجهات اللسانية للحجاج في أربعة توجيهات، إلا أنهما وضعاً صيغ لغوية أخرى لها بُعدٌ حجاجي، ومن هذه الصيغ ما يتجاوز إحداث التأثير الحجاجي في الجمهور إلى الاتحاد معه فكرياً ووجدانياً. وهذا ما فعله ابن العميد في بداية المقدمة: "كتابي، وأنا مُترجِّحٌ بين طمع فيك ويأس منك، وإقبال عليك، وإعراض عنك". فالاضطراب والقلق النفسي الذي يعانيه المخاطب لم يعد خاصاً به، وإنما يحاول ابن العميد الاتحاد وجدانياً لا فكرياً مع مخاطبه عبر مشاركته بهذا القلق والتردد والخوف. وهذه المشاركة تهدف لحث المخاطب على إحداث التغيير الفكري، وإرجاعه إلى طاعة الأمير ليتحد وجدانياً وفكرياً. وكأنه يريد محاجبة الآخر، بقوله إنك غير مستقر وجدانياً ونفسياً بسبب عدم استقرارك الفكري، أما عدم استقراري أنا وجدانياً فبسبب عدم استقرارك أنت، وليس بسبب عدم استقرارك الفكري، وحينما تستقر فكرياً بالرجوع إلى طاعة ركن الدولة ستستقر فكرياً ووجدانياً، وحينئذٍ سنتحد كلانا ونستقر وجدانياً ونفسياً وفكرياً.

ولعل ما يعزز هذه الفكرة أنّ ابن العميد يتأمل خيراً في مخاطبه، إذ يقدّم الإيجاب على السلب "طمع فيك، وإقبال عليك، تدلّ بسابق حرمة، تمتّ بسالف خدمة، ميل إليك، أتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك (...). معللاً ذلك بما كان بين ابن بلكا وركن الدولة من التوثق والمحبة الحميمة والصلة والقربى في

(1) الثعالبي، *بنيمة الدهر في محاسن أهل العصر*، ج3، ص 192 - 194. حيث وردت الرسالة في الجزء الثالث، وقال في مقدمتها: "وقد أجمع أهل البصرة في الترسّل على أن رسالته التي كتبها إلى ابن بلكا ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه، وواسطة عقده، وما ظنك بأجود كلام لأبلغ إمام".

(2) ينظر: الزركلي، *الأعلام*، ج 2، ص 185، حيث يُعرّف بركن الدولة ابن بويه (284-366هـ/897-976م) الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمي، ركن الدولة: من كبار الملوك في الدولة البويهية. كان صاحب أصبهان والري وهمدان وجميع عراق العجم. استوزر أبا الفضل ابن العميد، ثم ابنه أبا الفتح. واستمر في الملك 44 سنة وشهراً و9 أيام. وهو والد عضود الدولة "فناخسرو" ومؤيد الدولة "بويه" وفخر الدولة "علي" قسم عليهم الممالك في حياته. وتوفي بالري.

الماضي القريب، وابن بلكا لا ينكر هذه المحبة، وكأنه يحثه بأسلوب نفسي تأثري لإثارة الانفعال لديه من أجل الرجوع إلى طاعة الأمير عبر الأمل والرجاء.

إنّ التوازيات الصوتية بين الكلمات والجمل في عناصر اللغة التركيبية يكسبها جرساً موسيقياً، مما يمنحها بنية تطريزية جمالية تُسهم في تقوية الحجة الإقناعية من جهة، وبعث المتكلم على تصديقها من جهة أخرى. وتتمثل هذه العناصر، بعناصر البديع كالسجع والجناس والطباق والترادف والمقابلة والموازنة بين الجمل وغيرها.

ويتجلى ذلك من خلال النبر الصوتي المتناغم والمنسجم الذي يشيع فيها ممثلاً بالسجع، مثل "إقبال عليك، إعراض عنك، فإنك تدل بسابق حُرمة، وتمتّ بسالف خدمة". وكذلك الازدواج والتوازي، حيث توازن الجمل وتعادلهما في طولها وإيقاعها الموسيقي منتهياً بالسجع مثل: "فإنك تدل بسابق حرمة، وتمت بسالف خدمة، أيسرهما يوجب رعاية، ويقتضي محافظة وعناية"<sup>(1)</sup>.

وقد علق الدكتور شوقي ضيف على قيمة السجع والعناصر الإيقاعية الأخرى في الرسالة، بقوله: "فالرسالة كلها تمضي على هذا النحو من السجع والعناية بالبديع، فكلها تُحفّ من السجع وطرق من الجناس والطباق والتصوير، فهي وشيٌّ خالص، هي بديع وتطريز وترصيع إذ ما يزال ابن العميد يدمج وشي السجع في وشي البديع من التصوير، والطباق والجناس. فإذا أساليبه ثروة لغوية هائلة"<sup>(2)</sup>.

والسجع كما يرى الجرجاني، "يرد في الكلام، فإنه يحقق فيه، بفضل توافق فواصله وانسجامها الصوتي، تماثلاً صوتياً وإيقاعياً رناناً يجعل النفس تتجذب إليه، ليس فقط بالإصغاء والسماع، ولكن بحفظه وتمثله"<sup>(3)</sup>. فحفظ النفس للكلام مدعاة لجعله قريباً من العقل والقلب، وكلما كان الكلام قريباً منهما كان مدعاة للفهم والتأمل والتدبر والعمل بمحتواه، والامتثال لما يأمر به، واجتناب ما ينهي عنه، وكأن لسان حاله، يقول: "توقيع الكلام وتوازنه يكاد يكون حجة على صدقه"<sup>(4)</sup>.

(1) النعالي، بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج3، ص 193.

(2) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط5، دار المعارف، مصر، (د.ت.)، ص 210.

(3) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت441هـ/1049م)، أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، دار

المدني، جدة، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت.)، ص 9-10.

(4) ينظر: العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 116.

يسهم السجع بوصفه عنصراً حجاجياً في إثارة عواطف المخاطب واستمالاته، فهو يؤدي من خلال ما يمنحه للخطاب من ثراء موسيقي وإيقاع مطرب ومتناغم إلى إثارة انفعالات المخاطب وتأجيج عواطفه من أجل تهيئته نفسياً واستدراجه لأن يقنع "ابن بلكا" بالكلام، ويعود إلى سلطة ركن الدولة.

يستخدم ابن العميد الأساليب اللغوية في مقدمة الرسالة، مثل السجع، والتناغم والإيقاع الموسيقي، والامتزاج مع المخاطب، التي تؤدي بدورها إلى سلاسة انقياد المخاطب أو السامع إلى ما يريد أن يقوده المتكلم إليه (العودة إلى سلطة ركن الدولة)، إذ حملت في طياتها الأمل والرجاء في العودة، وذلك بقوله: " تأملاً لفيأتك وانصرافك، ورجاء لمراجعتك وانعطافك".

وعلى الرغم مما سلف فإن الرسالة لا تحمل في مضمونها التوسل لابن بلكا بالرجوع، إذ إنَّ الأمل والرجاء تلازم معهما سلطة المتكلم ونفوذه السياسي الذي كان حاضراً في المقدمة بين ثنايا السطور، من خلال القدرة على الفعل، بقوله: " وأبسط يداً لاصطلامك واجتياحك". إشارة إلى تدميره والخلص منه، ولعل ما يعزز هذه السلطة التي تحمل في طياتها التهديد المباشر، ما ورد في الفقرة الأخيرة من الرسالة بقوله:

"تأمل حالك وقد بلغت هذا الفضل من كتابي، والمس جسديك وانظر هل يحس؟ واجسس عرقك هل ينبض؟ وفتش ما حنا عليك هل تجد في عرضها قلبك، وهل حلي بصدرك أن تظفر بفوت صريح، أو موت مريح؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده وآخر شأنك بأوله".

فالتهديد والوعيد على مقدرة المتكلم بتصفية المخاطب تصفية جسدية تظهر من خلال أفعال الأمر التي تحمل بعداً حسيّاً (المس، اجسس، فتش). ومع هذا فإنَّ ابن بلكا قد قدّم الجمل التي تحمل الأمل والرجاء؛ لأن الفكرة المأمولة لديه، والتي تصبّ في مصلحة الخلافة هي عودة ابن بلكا إلى ركن الدولة لا تصفيته.

### الأساليب اللغوية والحجاج

لقد حصر مؤلفا كتاب "مصنّف في الحجاج" الموجهات بالمعنى اللساني للحجاج في أربعة: (التوجيه الإثباتي، والإلزامي، والاستفهامي، والتمني)<sup>(1)</sup>. وعلى الرغم من ذلك وضعاً صيغاً لغوية أخرى لها بعد حجاجي، ومن هذه الصيغ ما يتجاوز مجرد إحداث التأثير الحجاجي في الجمهور إلى الاتحاد معه فكرياً

(1) صولة، في نظرية الحجاج، ص 38.

ووجدانياً. ومن هذه الصيغ اللغوية الصور البلاغية<sup>(1)</sup>، ويذكر منها التكرار، والإسهاب، والتنقل بين الأزمنة، والتلميح، والشاهد أو المثال، والاستقهام، وصور المجاز مثل الاستعارة وغيرها. وسنتناول التنقل بين الأزمنة، وبعض الأساليب اللغوية الحجاجية التداولية، المثال (الاستشهاد أو الشاهد)، والاستعارة كونها أحد الحجج المؤسسة لبنية الواقع من خلال الاستدلال بواسطة التمثيل.

1- التنقل بين الأزمنة:

يمثل ضرباً من ضروب وجوه الاتصال التتابعي. من خلال الوصل السببي، ومعنى ذلك أن الربط السببي يكون عبر المرور في الاتجاهين من السبب إلى النتيجة ومن النتيجة إلى السبب. وفي هذا الإطار يمكن أن نتحدث عما يسميه بيرلمان (الحجة البراغمية). وتعني الحجة التي يحصل بها تقويم عمل ما أو حدث ما باعتبار نتائجه السلبية أو الإيجابية. ومن هنا كان للحجة البراغمية تأثير مباشر في توجيه السلوك وُعدت من أهم وسائل الحجاج<sup>(2)</sup>.

يقول ابن العميد موجهاً خطابه لابن بلكا: "وزعمت أنك في طرفٍ من الطاعة بعد أن كنت متوسطها، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حالها، وحلبت شطريها، فنشدتك الله لما صدقت عما سألتك، كيف وجدت ما زلت عنه، وكيف تجد ما صرت إليه؟ ألم تكن من الأول في ظلٍ ظليل، ونسيمٍ عليل، وريحٍ بليل، وهواءٍ عدي، وماءٍ روي، ومهادٍ وطى، وكنٍ كنين، ومكانٍ مكين، وحصنٍ حصين، يقيك المتألف، ويؤمنك المخاوف، ويكنفك من نوائب الزمان، ويحفظك من طوارق الحدثان؟

عزرت به بعد الذلة، وكثرت بعد القلة، وارتفعت بعد الضعة، وأيسرت بعد العسرة، وأثريت بعد المتربة، واتسعت بعد الضيقة، وظفرت بالولايات، وخفقت فوقك الرايات، ووطئ عقيبك الرجال، وتعلقت بك الآمال، وصرت تكائر ويكائر بك، وتشير ويشار إليك، ويذكر على المنابر اسمك، وفي المخاطر ذكرك، ففيم الآن أنت من الأمر، وما العوض عما عدت، والخلف مما وصفت، وما استقدت حين أخرجت من الطاعة نفسك، ونفضت منها كفك، وغمست في خلافها يدك؟"<sup>(3)</sup>.

يرتد ابن العميد إلى الزمن الماضي القريب، حين كان ابن بلكا في متوسط سلطة ركن الدولة، إذ كان يتمتع بالحرية، ورغد العيش، والأمان، والقوة، والأمن، وعدم الخوف من نوائب الزمان وطوارق الحدثان. ثم

(1) ينظر: صولة، في نظرية الحجاج، ص 38.

(2) ينظر: صولة، في نظرية الحجاج، ص 49-50.

(3) الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج3، ص 194.

يرتد به إلى الماضي البعيد حين كان في طرف سلطة ركن الدولة، وذلك قبل تعرّفه بركن الدولة. وما حصده في الماضي القريب حينما أصبح في متوسط طاعة ركن الدولة من العزّ، الكثرة، الارتفاع، اليسر، الثراء، السعة، الظفر، الأمر والنهي، ذبوع الصيت، الذكر الحسن. وبعد ذلك يوجه له سؤالاً عن الحاضر، ففيم الآن أنت من الأمر؟ وما استفتت حين أخرجت من الطاعة نفسك؟ والجواب الضمني عن الآن الحاضر (طرف الطاعة) أنّه عاد كما كان قبل تعرّفه بركن الدولة (الذلة، والقلة، والضعف، والعسرة، والمتربة، والضيق)، أضف إلى ذلك أن خروجه من الطاعة أدخله إلى دائرة (الضعف، وضيق العيش، وعدم وجود الأمن والأمان؛ لأنه مهدور الدم ومهدّد بالقتل). وذلك ربط عبر مرور في الاتجاهين من السبب إلى النتيجة ومن النتيجة إلى السبب.

فتحوّل حالة المخاطب بما كان عليه إلى الماضي القريب في الماضي البعيد بما أصبح فيه، بسبب تحوله ومن طرف الطاعة إلى متوسط طاعة ركن الدولة. أمّا حالة المخاطب في الحاضر؛ فهي نتيجة لخروجه من متوسط الطاعة في الماضي القريب.

فسؤاله: ففيم الآن أنت من الأمر؟ وما استفتت حين أخرجت من الطاعة نفسك؟ هو سؤال لتوجيه سلوكه نحو ما فيه خير أمره، وهو الرجوع كما كان في الماضي القريب في متوسط طاعة ركن الدولة.

إنّ ما يلجأ إليه ابن العميد هو بحث تأثيري، يطلق عليه باتريك شارودو (Charaudeau Patrick) التلفظ المزدوج، الذي هو عبارة عن مسار عقلي ومنطقي، ويمكن أن يحصل بواسطة وسائل أخرى غير البرهنة. من ذلك مثلاً وسائل الإغراء حين يستعير أشكال خطابات أخرى مثل خطاب الوصف<sup>(1)</sup>.

لذلك يلجأ ابن العميد إلى مزج أو تسخير خطاب الوصف - وصف حالة ابن بلكا عبر الأزمنة (الماضي البعيد، القريب، الحاضر) - والإقناع، اللذين قد يتجهان نحو الامتزاج للوصول إلى الهدف المنشود، توجيه سلوك ابن بلكا وعودته إلى طاعة ركن الدولة. من خلال الأساليب القولية المتمثلة بالالتفات إلى الأزمنة.

وتتعاقد وجوه الاتصال التتابعي مع وجوه الاتصال التوايدي (الشخص وأعماله)، ولئن كانت الأعمال تجلو جوهر الشخص وتفسّره، فإنّه في المقابل يمكن أن يكون الشخص أو بالأحرى ما نعرفه عن الشخص هو الذي يفسّر لنا ما غُض من أعماله. فالشخص هنا ينهض لدور السياق الذي يعين على

(1) ينظر: شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص 15.

تأويل العمل. وفي هذه الحالة يلعب القصد أو النية أو الطوية ما توفر لدينا من أفكار وآراء سابقة حول الشخص صاحب العمل. وهكذا فإن اللجوء إلى القصد أو النية يمثل مناط الحجاج، فهو يربط العمل بصاحبه ويعيننا على فهم عمله وعلى إمكان تقويمه. وبذلك فإن علاقة الوصل التواجدية لا يتبع الحجاج فيها مسار عمل- شخص، وإنما يتبع فيها مسار شخص- عمل، وهو ما أسماه بيرلمان "التداخل بين العمل والشخص"<sup>(1)</sup>.

لقد تم إنجاز العمل، وهو الخروج من طاعة الأمير ركن الدولة من قبل ابن بلكا، ومن خلال معرفة ابن العميد لشخص المخاطب، بأنه يحافظ على العهد والوفاء، يرى أنه لم يكن ثمة نية عقلية فكرية حقيقية لدى صاحب العمل حينما أنجزه، وإنما هو نزوة عابرة، قد فعلها في غفلة من أمره؛ لذلك يوجه خطابه للمخاطب بعد مقدمة الرسالة، فيقول: "فقد يغرب العقل ثم يؤوب، ويعزب اللب ثم يثوب، ويذهب الحزم ثم يعود، ويفسد العزم ثم يصلح، ويضاع الرأي ثم يستدرك، ويسكر المرء ثم يصحو، ويكر الماء ثم يصفو، وكل ضيقة إلى رخاء، وكل غمرة فإلى انجلاء"<sup>(2)</sup>.

إن إنجاز الفعل كان لحظة غروب العقل، وذهاب الحزم، وفساد العزم، وضياح الرأي، وغياب العقل (السكر)، ليختم الفقرة بقوله: "وكل ضيقة إلى رخاء، وكل غمرة فإلى انجلاء".

يستخدم ابن العميد استراتيجية خطابية، وهي ما يمكن أن نطلق عليها استراتيجية التبرير، إذ يغدو التبرير رافداً وتقوية يجعل المتلقي يذعن ويؤمن ويوافق. وهي يعني أن إنجاز الفعل لو كان بنية حقيقية، وأُخذَ بعد تروٍ ودراية وتعمق وتفكير لم يوجه له هذه الرسالة للرجوع عما اتخذه من قرار، وإنما من خلال معرفته بالمخاطب فإنّ القرار قد اتخذ بلحظة عابرة، ولم تتوافر فيه النية الحقيقية عندما أنجز هذا الفعل من المخاطب.

## 2. الأساليب الحجاجية التداولية

### أ-إنشاء/ خبر

ويتمثل ذلك على صعيد المعاني بالعدول من الإنشاء إلى الخبر، تطبيقاً لقانون الأنجع والأنفec في الخطاب.

(1) ينظر: صولة، في نظرية الحجاج، ص 51- 52.

(2) الثعالبي، بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج3، ص 193.

1. "فلا بدع أن تأتي من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك" / عوضاً عن: (أت من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك).
  2. "فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت" / عوضاً عن: (انتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت).
- وعلى هذا النحو تبدو الجملة الخبرية أقوى إلزاماً بالحكم الوارد فيها من الجملة الإنشائية، قال الزركشي: إنما يجيء الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقاً لثبوته وأنه ينبغي أن يكون واقعاً لا بد<sup>(1)</sup>.
- أ. خبر / إنشاء:
- والعكس بالعدول من الخبر إلى الإنشاء حين يكون الإنشاء هو الأنجع:
1. "ألم تكن في الأول في ظل ظليل؟" عوضاً عن: (كنت في الأول في ظل ظليل).
  2. "ألمس جسدك وانظر هل يحس؟" عوضاً عن: (المسّ جسدك وانظر إنّه يحسّ).
  3. "أجسس عرقك هل ينبض؟" عوضاً عن: (أجسس عرقك إنّه ينبض).
- كما يقع العدول في أسلوب الإنشاء إلى أسلوب آخر مثل العدول عن الأمر أو النفي إلى الاستفهام.
1. "كيف وجدت ما زلت عنه، وكيف تجد ما صرت إليه؟" عوضاً عن: (انظر ما وجدت بما زلت عنه وما صرت إليه).
  2. "فقيم الآن أنت من الأمر؟" عوضاً عن: (انظر الآن إلى أمرك).
  3. "ما العوض عما عددت؟" عوضاً عن: (لا عوض عما عددت).
  4. "ما استفتت حين أخرجت من الطاعة نفسك؟" عوضاً عن: (لم تستفت حين أخرجت نفسك من الطاعة).
  5. "هل حليّ بك أن تظفر بفوت صريح" عوضاً عن: (أظفر بفوت صريح).
- الاستفهام على عكس التقرير أو النفي أو النهي أو الأمر يجعل المخاطب في حالة اضطراب إلى الجواب، خصوصاً في حالة الاستفهام الداخل على النفي "ألم تكن في الأول في ظل ظليل؟". فهو يجعل

(1) ينظر: الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين، محمد بن عبد الله (ت 794هـ/1392م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق يوسف المرعشلي وجمال الذهبي وإبراهيم الكردي، دار المعرفة، بيروت، 1990، ج3، ص 411.

المخاطب يسير في الاتجاه الذي يرسمه السؤال. فالمخاطب يمثل هذا الأسلوب لا يكون مجرد شاهد بل هو معني بما يقال<sup>(1)</sup>.

كما أنّ ثمة معاني زائدة على أصل المعنى المستفاد من الاستفهام، وذلك لتعميق درجة الإقناع بالنتيجة التي يتوجّه بها الملفوظ:

1. "ألم تكن في الأول في ظل ظليل؟" = تقرير + لوم + توبيخ + تعجب.
2. "ألمس جسدك وانظر هل يحس؟" = تقرير + تهديد ووعيد.
3. "أجسس عرقك هل ينبض؟" = تقرير + تهديد ووعيد.
4. "كيف وجدت ما زلت عنه، وكيف تجد ما صرت إليه؟" = أمر + لوم.
5. "فقيم الآن أنت من الأمر؟" = أمر + توبيخ.
6. "ما العوض عما عدت؟" = نهى + لوم.
7. "ما استقدت حين أخرجت من الطاعة نفسك؟" = نهى + لوم + توبيخ.
8. "هل حلّي بك أن تظفر بفوت صريح" = أمر + تهديد ووعيد.

#### المثال: (الاستشهاد)

تعدّ المقاربة التداولية تلك المنهجية التي تدرس الجانب الوظيفي والتداولي والسياقي في النص أو الخطاب، وتدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطب، مع التركيز على البعد الحجاجي والإقناعي وأفعال الكلام داخل النص. وذلك لا يعني إهمالها للمرجع والإحالة، فالتداوليات اهتمت كذلك بالمرجع والإحالة التي تم إقصاؤها من دوسوسير (Ferdinand de Saussure) الذي حصر العلاقة بين الدال والمدلول<sup>(2)</sup>.

وبما أن النص إحالة مرجعية وسياقية ومقامية وتداولية، فلا يمكن فهم الملفوظ النصي أو الخطاب باعتباره كلية عضوية متسقة ومنسجمة إلا إذا راعينا مفهوم الإحالة النصية والمقامية والسياقية. وما نركز عليه هنا الإحالة المقامية (إحالة إلى خارج النص)، أو يمكن تسميته بالتناسل، إذ تعدّ هذه الإحالة علاقة

(1) ينظر: صولة، في نظرية الحجاج، ص 98 .

(2) ينظر: حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ص 7.

دلالية، ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية، إلا أنها تخضع لقيود دلالية، وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه<sup>(1)</sup>.

يقول ابن العميد موجهاً خطابه لابن بلكا: "وما استقدت حين أخرجت من الطاعة نفسك، ونفست فيها كفك، وغمست في خلافها يدك، وما الذي أظلك بعد انحسار ظلها عنك؟ أظلّ ذو ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغني من اللهب؟ قل نعم كذلك".

يمثل الاستشهاد السابق إحالة إلى قوله تعالى في سورة المرسلات: ﴿انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ، انطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ، لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ، إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ، كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٍ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

إنّ الخطاب القرآني موجه لأهل النار يوم القيامة، أن ينطلقوا إلى ما كانوا يكذبون به، أليست هذه جهنم التي حذركم منها المرسلون؟! إذا انطلقوا إلى ظلها الذي تتمايز في خلاله ثلاث شعب، قطع من النار تتعاوره، وتتناوبه، وتجتمع به، فهو ظل لا ظليل، فلا راحة فيه ولا طمأنينة فلا يُمكن فيه ولا يغني من اللهب الذي أحاط به من كل جانب. وهذا الخطاب موجه إلى الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار، وما يقوله الله تعالى لهم يوم القيامة<sup>(3)</sup>.

حينما قسّم أرسطو البراهين الخطابية إلى ثلاثة أقسام، ربط الضرب الثالث منها، وهو ما يتعلق بالمتلقي بالتهديد والوعيد. فربط ابن العميد التهديد والوعيد بالجانب الديني (حال الكفار المكذبين) يوم القيامة، ومكانهم جهنم (ظل ذي ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغني من اللهب).

تصوّر رسالة ابن العميد حالة مستقبلية حتمية من المنظور الديني لأولئك الكفار المكذبين الذين ظلوا مصرّين على التكذيب بيوم الدين، وعذاب جهنم، والجنة والنار والمعاد والجزاء، حتى أصبح حقيقة واقعة بما يحمله المشهد من الترويع يوم القيامة (جهنم بدخانها الكثيف). وكون هذه الحقيقة الإلهية مستقبلية، فلا شك أنها تحمل بين ثناياها خطاباً مضمرّاً وتعريضاً لحال الكفار المكذبين حين نزول السورة القرآنية،

(1) ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1991، ص 16، 17.

(2) المرسلات، الآيات 29-34.

(3) ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376هـ/1957م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، حققه وضبطه ونسقه وصححه، محمد زهري النجار، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الإدارة العامة للطبع والترجمة، الرياض، 1990، ج 7، ص 545.

وتوبيخاً لهم، وبيان حالهم المستقبلي يوم القيامة إن لم يرتدعوا ويعودوا عن تكذيبهم، ويؤمنوا بالجنة والنار والمعاد والجزاء، فسيكون مصيرهم مثل أولئك الذين استمروا في الكفر والتكذيب.

يعدّ المثل "أحد الحجج القائمة على التماثل والتشابه، بمعنى قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة؛ ليبين أحدهما الآخر ويصوره، ويرى الرازي أنه يؤثر في النفس مثل تأثير الدليل<sup>(1)</sup>.

يحضر المثل هنا عبر الاستشهاد بالقرآن الكريم أو الإحالة إليه عبر تمثيل ابن العميد لحالة مشابهة بالمكذّبين، فتشبيه حالة ابن بلكا بالكفار المكذّبين بداية، لإكساب الرسالة شرعيّتها الدينية، أو ما نقصده إكساب الدولة (حكم ركن الدولة) شرعية دينية، وأنها دولة دينية راشدة، ومن ثم فإنّ استمرار ابن بلكا في خروجه عن هذه الدولة الدينية الشرعية مثل حال الكفار المكذّبين الذين استمروا في تكذيبهم. واستمراره بالعصيان والخروج عن طاعة ركن الدولة سيسبب له خسارتين، الأولى: الدنيوية (القتل)، والثانية: الأخروية (جهنم) مثل الكفار المكذّبين.

لكنه إذا رجع إلى كنف ركن الدولة سيكون حاله حال الكفار المكذّبين الذين فهموا الخطاب القرآني الضمني، فصّدّقوا ورجعوا عن كذبهم، فربحوا الدنيا والآخرة، وابن بلكا إن فعل ذلك كان حاله كحالهم. يستخدم ابن العميد حجة المثل بوصفها أحد الحجج القائمة على التماثل والتشابه، إذ إن أظهر ما يميز هذه الحجة، كونها لا تستند إلى الواقع بل تضع واقعاً جديداً، وذلك من خلال توليد علاقات حادثة بين الأشياء والعناصر والمفاهيم.

وهذه الحجة متأسسة على قانون التماثل والتشابه علاقة وإسناداً، إذ يتجسّد المثل في رسالة ابن العميد عبر استحضار الوقائع الدينية "أظّل ذي ثلاثة شعب، لا ظليل ولا يغني من اللهب"، واستجلابه يجعل الرسالة منغرس في بيئة راسخة ذات مراجع تقويها وأركان تعضدها (القرآن الكريم). وذلك يضمن للرسالة نفوذها الواجب (النفوذ الديني) والقوة المرجوة حتى يحصل الإقناع ويتولد التيقن لدى المتلقي<sup>(2)</sup>.

**الاستعارة:**

(1) ينظر: العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 84.

(2) ينظر: الشبعان، علي، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010، ص 307، 308.

إذا كانت الاستعارة نقل اللفظ من معناه الذي وضع له في اللغة، فإن هذا المفهوم لا يؤدي إلى إيضاح المعنى الحقيقي من الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني، وهو المبالغة القائمة على الادعاء. ومن هنا فالاستعارة عنده طريقة من طرق الإثبات عمادها الادعاء.

يقول ابن العميد "وزعمت أنك في طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسطها، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حالها، وحلبت شطريها".

فهو يدعي أن ركن الدولة ناقة حلوب للدلالة على الكرم والعطاء، ومراده إثبات صفة الكرم والعطاء لركن الدولة، إذ لم يطلق اسم الناقة الحلوب عليه أو على طاعته إلا بعد أن أدخلها في مفهوم الناقة الحلوب.

والادعاء كفعل حجاجي يستوجب إدخال المستعار له في جنس المستعار منه على وجه الحقيقة، وذلك بإيجاد عالم ثالث هو عالم الممكن، إذ يمكننا أن نجتمع بين عالمين ذي بنيتين ونسقين مختلفين فنصير المستحيل ممكناً عن طريق الخيال؛ لذلك اعتبره الجرجاني أداة من أدوات الإقناع<sup>(1)</sup>.

فالاستعارة كما يرى الجرجاني: "ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستغني فيه الأفهام والأذهان لا السماع والآذان"<sup>(2)</sup>.

وكلام الجرجاني يدخل في باب الاستدلال بواسطة التمثيل الذي يعني تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه في العلاقات، فهو احتجاج لأمر معين عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر وهو مجال الاستعارة.

وقد ذهب أوليفي ربول (Olivier Reboul) إلى أن الاستعارة أكثر إقناعاً من القياس بفضل المزج الذي تحدثه بين المستعار والمستعار له. ومن هنا نفهم إن الاستعارة الحجاجية ليست مجرد زخرفة قولية، بل هي أداة أساسية في الحجاج، وهذا يذكرنا بما أجمع عليه القدماء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة<sup>(3)</sup>. إن الصورة التعبيرية الاستعارية البديعة ذات الطاقة الحجاجية لابن العميد مخاطباً ابن بلكا: "وزعمت أنك في طرف من الطاعة..."، ذكرت المشبه (طاعة ركن الدولة) وحذفت المشبه به (الناقة الحلوب)

(1) ينظر: أبا علال، اللسانيات التداولية ونظام الخطابة، ص 192.

(2) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 20.

(3) ينظر: أبا علال، اللسانيات التداولية ونظام الخطابة، ص 194.

على سبيل الاستعارة المكنية، ووجه بلاغتها يكمن في روعة التصوير من خلال إلباس المعنوي (طاعة ركن الدولة) ثوب المحسوس (الناقة الحلوب).

يصور ابن العميد لابن بلكا إفادته من وجوده في طاعة الخلافة بصورة حيوان حلوب (ناقة حلوب)، وما آل إليه حاله الآن، وهو بعيد عن خيرها بعد أن كان غارقاً في كرمها وعطائها. فهو يذكره عبر مقارنة عقلية منطقية نفعية بين الحالتين: الجوع والشبع، ثم يذكره كيف كان يحلب ضرعيها، إذ جعل للطاعة أثناء هي أثناء الناقة، وهذا التشبيه الجميل البليغ للطاعة هو الاستعارة المكنية. فشبه الطاعة بالناقة، واستعارة الناقة للطاعة (الحسي للمعنوي)، وحذف المشبه به (الناقة) ورمز إليها بشيء من لوازمها وهي الأثنية (حلبت)، مما أوهمنا في تصوير الطاعة بالناقة التي أوجد لها صورة الأثنية التي تعطي الحليب، وحينئذ تكون الأثنية التي تحلب استعارة تخيلية، لأنّ المستعار له، وهو (حلبت شطريها) أي أثناءها صورة تخيلية وهمية.

لا يبحث ابن العميد في خطابه الاستعاري عن رضا ابن بلكا واستثارة عواطفه، بل إنّه يخاطب عقله لإحداث نشاط ذهني عبر التمثيل بين الحالتين: الماضي والحاضر؛ ليستدل ابن بلكا بأيّ الطريقين يسلك عبر مقارنة عقلية نفعية يفعلها ابن العميد في رسالته بعد الاستعارة مباشرة (الالتفات في الأزمنة كما تم تحليلها سابقاً). وبما أنّه لا يبحث عن رضا ابن بلكا، فإنّ خطابه يثير في قلب ابن بلكا الرعب والخوف بصرف النظر عن اقتناعه، عبر تحميل الرسالة صيغة التهديد والوعيد، مستنداً في ذلك إلى نفوذه وسطوته السياسية، كما يرد في نهاية الفقرة الرابعة ذاتها التي وردت فيها الاستعارة، بقوله: "فهو والله أكثف ظلالك في العاجلة، وأروحها في الآجلة، إن أقمت على المحايدة والجحود، ووقعت على المشاقة والجمود".

لقد انغمس ابن العميد في نفسية المخاطب، وتوجّس أحاسيسه ومخاوفه، وما يمكن أن يؤثر في خلجات قلبه وبنات أفكاره من تفاعل بناء عبر رسالة اشتغلت تقنياتها اللغوية والتداولية والحجاجية؛ لاستدراج المخاطب وحمله فكراً ووجداناً على ترك موقفه، مما دفع بالمخاطب في النهاية ليتراجع عن موقفه، ويعود لمصافحة كنف ركن الدولة وطاعته، كما ورد عند الثعالبي على لسان المخاطب<sup>(1)</sup>.

(1) قال الثعالبي في نهاية إيراده لرسالة ابن العميد: "بلغني عن ابن بلكا- وكان آدب أمثاله- أنه كان يقول: والله ما كانت لي حال عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار إليه الأستاذ الرئيس، ولقد ناب كتابه عن الكتائب في عرك أديمي واستصلاحي، وردي إلى طاعة صاحبه"، يتيمة الدهر، ج3، ص 195.

## الخاتمة

لقد كشفت الدراسة أنّ رسالة ابن العميد إلى ابن بلكا شكّلت خطاباً حجاجياً متفوّقاً، ارتقى من غرض الإفهام إلى التأثير فالإقناع الذي جعل (الباتوس/ المُخاطَب/ابن بلكا) يُذعن لما طرحه (الإيتوس/ المُحاجج/ابن العميد) ويثق به إلى الدرجة التي جعلته يُسلّم بالأمر وينصاع له فيُنجز المطلوب. هيّاً لذلك كفاية المُحاجج الخطابية المتمثّلة ببنية الخطاب الداخلية التي سخرت التقنيات اللغوية والتداولية والحجاجية مثل: التوازيات الصوتية بين الكلمات والجمل المتمثلة بعناصر البديع كالسجع والجناس والطباق والترادف والمقابلة والموازنة، والاتّفات في الأزمنة والعدول من الخبر إلى الإنشاء أو من الإنشاء إلى الخبر، أو في الإنشاء نفسه بالعدول عن الأمر أو النفي إلى الاستفهام، واعتماد حجة المثال أو الاستشهاد القائمة على التمثيل والتشابه، أو حجة الاستعارة القائمة على الادعاء لاستمالة المُخاطَب واستدراجه من جهة، وكفاية المُحاجج السياسية المُتمثّلة بنفوذه وسطوته من جهة أخرى، فضلاً عن كفايته الأخلاقية وقدرته على التأثير نفسياً في المُخاطَب - أملاً ورجاءً أو تهديداً ووعيداً - وصولاً إلى ردّه لما كان فيه سابقاً من طاعة وامتنال، إذ ائتمر بأمره وانقاد لمراده عائداً -دون إبطاء- إلى سلطة ركن الدولة البويهّي حال قراءته الرسالة.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- بوجادي، خليفة، *في اللسانيات التداولية*، بيت الحكمة العلمية، الجزائر، 2009.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت 429هـ/1037م)، *يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر*، شرح وتحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ/869م)، *البيان والتبيين*، ط 2، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت.).
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت 441هـ/1049م)، *أسرار البلاغة*، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت.).
- حمداوي، جميل، *التداوليات وتحليل الخطاب*، في <https://ketabpedia.com>
- حمداوي، جميل، *نظريات الحجاج*، في [Bilarabiya.net/19660.html](http://Bilarabiya.net/19660.html)
- الحنوش، أحمد، *الحجاج في أدب الوفادات عند العرب في العصر الأموي*، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، 2021.
- خطابي، محمد، *لسانيات النص*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991.
- الدهري، أمينة، *الحجاج وبناء الخطاب*، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2011.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ/1392م)، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق يوسف المرعشلي وجمال الذهبي وإبراهيم الكردي، دار المعرفة، بيروت، 1990.
- الزركلي، خير الدين بن علي بن محمود (ت 1396هـ/1976م)، *الأعلام*، ط 17، دار العلم للملايين، بيروت، 2007.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376هـ/1957م)، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، حققه وضبطه ونسقه وصححه محمد زهري النجار، الإدارة العامة للطبع والترجمة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، 1990.
- شارودو، باتريك، *الحجاج بين النظرية والأسلوب*، ترجمة أحمد الودرني، في [www.oeabooks.com](http://www.oeabooks.com)
- الشبعان، علي، *الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل*، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010.
- صولة، عبد الله، *في نظرية الحجاج*، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، 2011.

- ضيف، شوقي، *الفن ومذاهبه في النثر العربي*، ط 5، دار المعارف، مصر، (د. ت.).
- أبا علال، مولود، *اللسانيات التداولية ونظام الخطابة*، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي ليباس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2016-2017.
- العمري، محمد، *في بلاغة الخطاب الاقتناعي*، ط 2، إفريقيا الشرق، المغرب، بيروت، 2002.
- لعزيز، جعفر، "تحليل الرسالة السياسية من ابن العميد إلى ابن بلكا: مقارنة بلاغية حجاجية"، *أوراق نما*، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، <https://nama-center.com>
- مشبال، محمد، *في بلاغة الحجاج*، دار كنوز المعرفة، المغرب، 2016.

## References

*Al-Qurān al-Karīm.*

Bwjādy, Khalīfah, *fī al-Lisānīyāt al-Tadāwulīyah*, Bayt al-Ḥikmah al-‘Ilmīyah, Algeria, 2009.

Al-Tha‘ālībī, Abū Mansūr ‘Abd al-Malik bin Muḥammad bin Ismā‘īl, (d. 429 A.H./1037 A.D. ), *Yatīmat al-Dahir fī Maḥāsin Ahl al-‘aṣr*, edited by ‘Mufīd Qamīhah, Dār al-Kutb al- ‘Ilmīyah, Beirut, 1983 .

Al-Jāhīz, Abū ‘Uthmān ‘Umar bin Baḥr, (d. 255A.H. / 704A.D.), *al-Bayan wa al-Tabīn*, 2<sup>nd</sup> edition, edited by ‘Abd al-Salām Hārūn, Dār al-Fikr li al-Ṭibā‘ah wa al-Nashr wa al-Tawzī‘, (d.n.).

Al-Jurjānī, ‘Abd al-Qāhir bin ‘Abd al-Raḥmān bin Muḥammad, (d. 441A.H. /1049A.D.), *Asrār al-Balāghah*, edited by ‘Maḥmūd Shākir, Dār al-Madanī, Jeddah, Maṭba‘at al-Madanī, , Cario, (d.n.).

Ḥamdāwī, Jamīl, *al-Tadāwiliyāt wa Thlīl al-Khiṭāb*, in <http://kitapedia.com>.

Ḥamdāwī, Jamīl, *Nazarīyāt al-Hijāj*, in [Bilarabiya.net/1960.html](http://Bilarabiya.net/1960.html)

Al-Ḥannūsh, Aḥmad, *al-Ḥajāj fī Adab al-Wifādāt ‘inda al- ‘Arab fī al- ‘Aṣr al-Umawī*, ‘Ālam al-Kutub al-Ḥadīth li al-Nashr wa al-Tawzī‘, Irbid, 2021.

Khaṭṭābī, Muḥammad, *Lisānīyāt al-Naṣ*, al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, Casablanca, 1991.

Al-Zarkashī, Abū ‘Abd Allāh Badr al-Dīn, Muḥammad bin ‘Abd Allāh (d. 794A.H. / 1392A.D.), *al-Burhān fī ‘Ulūm al-Qur’ān*, edited by Yūsuf al-Mar‘ashlī, Jamāl al-Dhahabī and Ibrāhīm al-Kurdī, Dār al-Ma‘rifah, Beirut, 1990.

Al-Ziriklī, Khayr al-Dīn bin ‘Alī bin Maḥmūd (d. 1396A.H. / 1967A.D.), *al-A‘lām*, 17<sup>th</sup> edition, Dār al-‘Ilm li al-Malāyīn, Beirut, 2007.

Al-Sa‘dī, ‘Abd al-Raḥmān bin Nāṣir, (d. 1376A.H. /1957A.D.), *Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī Tafsīr Kalām al-Mannān*, edited by ‘Muḥammad Zahrī al-Najjār, al-Idārah al-‘Āmmah li al-Ṭab‘ wa al-Tarjamah, al-Ri’āsah al-‘Āmmah li Idārāt al-Buḥūth al-‘Ilmīyah wa al-Iftā’ wa al-Da‘wah wa al-Irshād, Riyadh, 1989.

Patrick Charaudeau, *Arguments entre théorie et méthode*, translated by Aḥmad al-Wadarnī, in [www.oeabooks.com](http://www.oeabooks.com)

Al-Shab‘ān, ‘Alī, *al-Hijāj wa al-Ḥaqīqah wa Afāq al-Ta’wīl*, Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥidah Beirut, 2010.

Sūlah, ‘Abd Allāh, *fī Nazarīyat al-Hijāj*, Miskīliyanī li Al-Nashr wa al-Tawzī‘, Tunisia, 2011.

- Dayf, Shawqī, *al-Fan wa Madhāhibuhu fī al-Nathr al-‘Arabī*, 5<sup>th</sup> edition, Dār al-Ma‘ārif, Egypt, (d.n.).
- Abā ‘Allāl, Mawlūd, “*al-Lisānīyāt al-Tadāwulīyah wa Niẓām al-Khaṭābah*”, M.A. thesis, Department of Arabic Language and Literature, Collage of languages and Arts, Univerity of Jīlālī lybās, Sīdī Bal‘abbās, Algiria, 2016-2017.
- Al-‘Umarī, Muḥammad, *fī Balāghat al-Khiṭāb al-Iqnā’ī*, 2<sup>nd</sup> edition, East Africa, Morocco, Beirut, 2002.
- li-‘Azīz, Ja‘far, “Taḥlīl al-Risālah al-Siyāsīyah min Ibn al-‘Amīd ilá Ibn Balkā: Muqārabah Balāghīyah Ḥijājīyah”, *Awraq Namā*, Markaz Namā’ li al-Buḥūth wa al-Dirāsāt, in <https://nama-center.com>
- Mishbāl, Muḥammad, *fī Balāghat al-Ḥijāj*, Dār Kunūz al-Ma‘rifah, Morocco. 2016.